خربة الذريح:
إضاءات جديدة على ديانة الأنباط ومعتقداتهم

زيدون المحيسن، فرنسوا فيلنوف، مولاي محمد جانيف

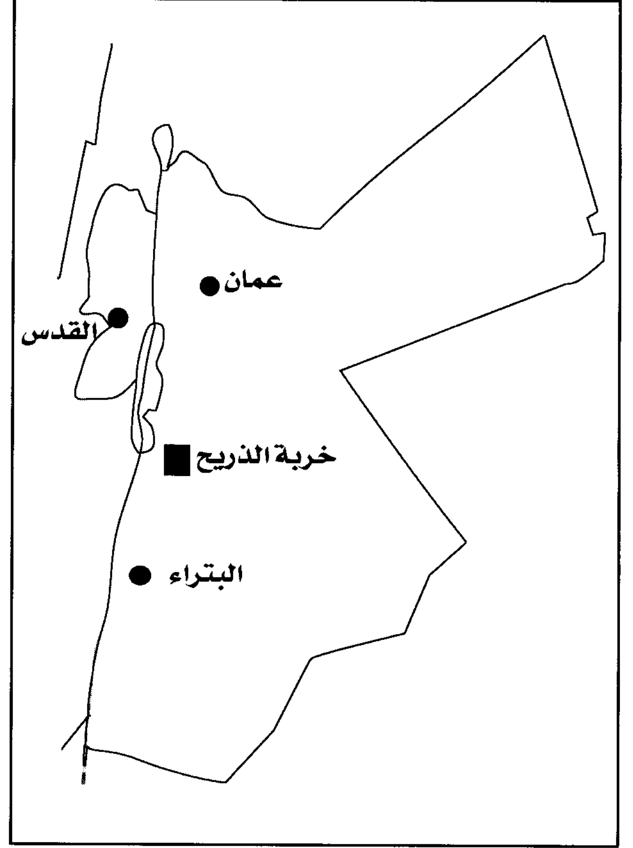
ملخص: أسفرت التنقيبات الجارية منذ سنة ١٩٨٤ في موقع خربة الذريح، الواقع على بعد حوالي ٧٠ كم إلى الشمال من البتراء، عن نتائج مهمة تخوّل دراستها إلقاء الضوء على الحياة الاجتماعية والدينية للأنباط، خارج عاصمتهم البتراء. وهذا البحث هو إسهام متواضع في دراسة ديانة الأنباط من خلال آثار خربة الذريح، خصوصا الهيكل. وتركز الدراسة بشكل أساسي على المعبد وآثاره الدالة على كيفية ممارسة الطقوس الدينية، تحديداً في قدس الأقداس. وتهدف المقابلة بين الجزء الداخلي من المعبد، المكرّس تماماً لعبادة الأنصاب وللطقوس الدينية كما مارسها عرب الجاهلية، وبين واجهة المعبد، التي "زينتها" تماثيل نصفية ومنحوتات بالغة الغنى دالة على فضاء ثقافي مختلف، إلى إبراز التنوع الذي ميّز ديانة الأنباط في فترة انتقالية خطيرة تلت سقوط البتراء وضم مملكة الأنباط لروما. ولا تدّعي هذه الدراسة الإجابةَ على كل الأسئلة المتعلقة بهذا الموضوع، إذ سعيُها هو فتح آفاق جديدة من خلال إثارة التساؤلات حول ديانة الأنباط، وتحولاتها بين الأصيل والدخيل.

Abstract. *The archaeological excavations carried out since 1984 at the Nabataean site of Khirbet edh-Dharih, some 70 km north of Petra, led to important results the study of which will shed light on different aspects of the social and religious life of the Nabataeans outside their capital Petra. The present research is a partial contribution to the study of the religion of the Nabataeans through the archaeological vestiges of Khirbet edh-Dharih, especially the sanctuary. Particular interest is devoted to the temple and its main features, which reflect the cult and rituals practiced in the holy of holies. In order to highlight the varied aspects of the Nabataean religion, especially during the transitional period that followed the annexation of Petra by the Romans, two main religious contexts have been studied: the square cultic platform and its elements which characterize the adytum and reflect the ancestral tradition, and the façade of the temple which seems to emanate from another tradition.*

عندما اختار يوليوس فلهاوزن (Wellhausen 1897)، لكتابه المنشور سنة ١٨٩٧ حول ديانة العرب قبل الإسلام، عنوانَ: "بقايا وثنية العرب" (Reste arabischen Heidentums)، فإنما كان يريد التعبيرَ عن مدى قلة ما وصلنا عن هذا الموضوع في المصادر العربية. ومع أن اكتشافَ "كتاب الأصنام"، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، ونشرِه كاملاً من قِبَل أحمد زكي سنة ١٩١٤، كان بمثابة نقطة تحوّل في تاريخ البحث في هذه المسألة، لما يحويه الكتابُ من معلومات مهمة عن معتقدات العرب في الجاهلية، بعد أن كان كل ما يتوافر من "كتاب الأصنام" لا يزيد عن شذرات مبثوثة في كتب التراث، إلا أن الصورة لم تتغير كثيراً إلا بعد أن استفادت الدراسةُ في هذا الميدان من معلومات مهمة قدمها علْمَا الآثار والنقوش، اللذان مكّنا الباحثين من الاتصال مباشرة ودون وساطة بالنص الأول: النصِّ الخالص من الشوائب، سواء أكان وثيقةً مكتوبة أم أثراً مادياً.

في هذا الإطار تأتي التنقيباتُ الجارية منذ ما يقارب العقدين في موقع خربة الذريح، لتلقيَ مزيداً من الضوء على ديانة الأنباط ومعتقداتهم. وهي بذلك تساعد على فهم السِّمات الوثنية في ديانة عرب الجاهلية، إذا افترضنا، من جهة، أن الأنباط عرب، على الرغم من غياب الإجماع التام

العدد التاسع ذو الحجة ١٤٢٤هـ - يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٤م
(ص ص ٤٣ - ٥٨) ردمد ١٣١٩-٨٩٤٧



الخريطة ١: موقع خربة الذريح.

في هذا الشأن (Dussaud 1955: 2-5; Healey 1989; 2001: 25-32, 80 and passim; Restö 1999)، وأخذاً بالرواية الشهيرة الواردة في ابن الكلبي "... ثم إنه (عمرو بن لحيّ) مرض، فقيل له: إن بالبلقاء من الشام حمَّةً إن أتيتها برأت. فأتاها فاستحم بها، فبرأ. ووجد أهلَها يعبدون الأصنام، فقال: ما هذه؟ فقالوا نستسقي بها المطرَ ونستنصر بها على العدو. فسألهم أن يعطوه منها، ففعلوا. فقدم بها مكّة ونصبها حول الكعبة" (ابن الكلبي ١٩٢٤: ٨).

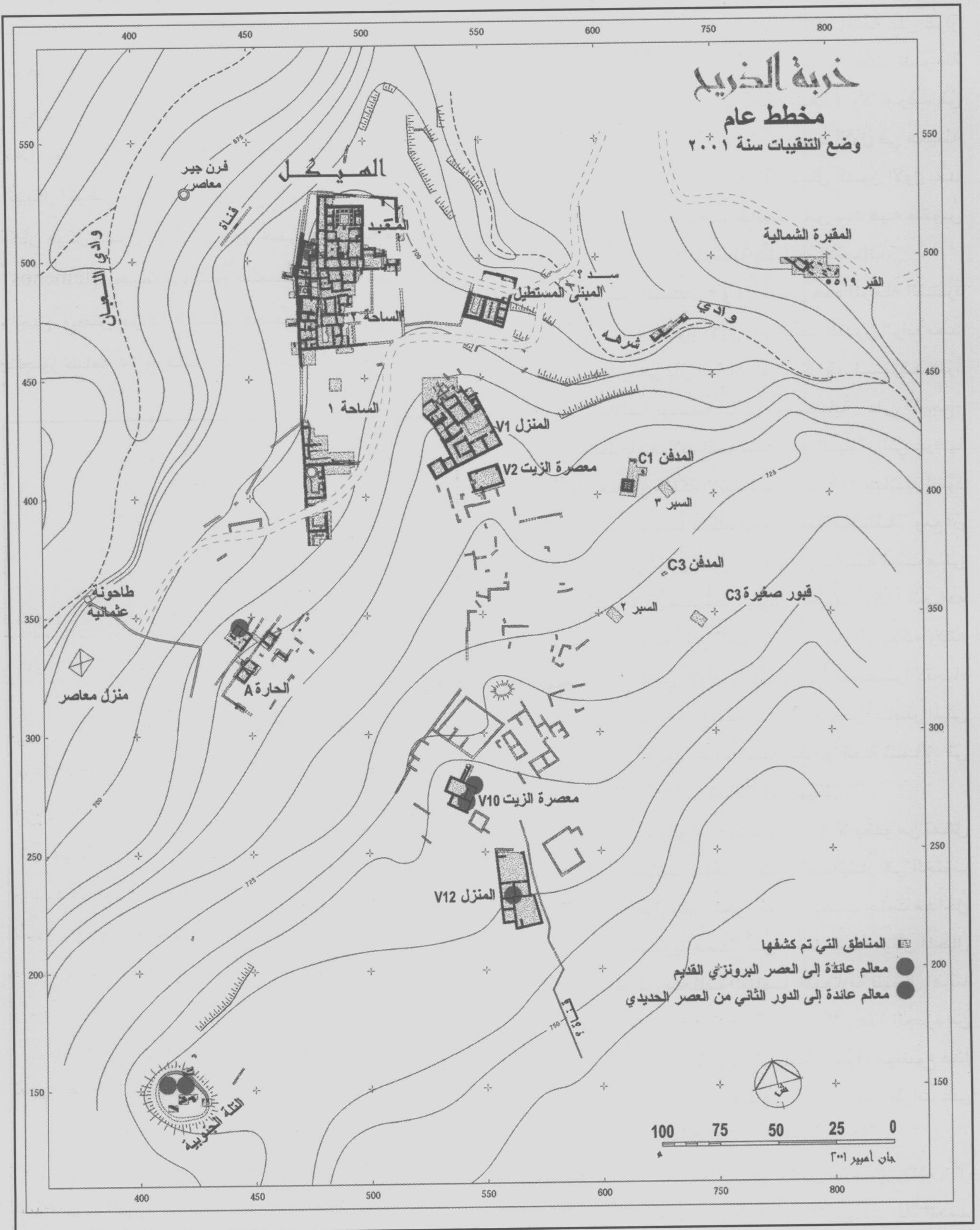
يتعلق الأمر، إذن، بإطارٍ جغرافي يمكن أن يُعدُّ موقعَ خربة الذريح جزءاً منه، في حين يمكن أن يُعد الموقع نفسه جزءاً من عالم الأنباط[1] (الخريطة ١). ذلك أن خربة الذريح تقع في وادي اللعبان، بين الكرك والطفيلة، على الطريق السلطاني القديم، على بعد ٧٠ كم تقريبا شمالي البتراء؛ وهي بذلك تجاور خربةَ التنور، الموقع الذي يمكن أن يُعد بحق توأمَ خربة الذريح وقرينَه. غير أن ما يميز موقع الخربة هو عدم اقتصار آثاره على الأوابد ذات الطابع الديني، مثلما هو الأمر في خربة التنور، حيث يقع هيكلٌ نبطيٌّ مبنيٌّ في منطقة معزولة، بل يتجاوز ذلك إلى أبنية سكنية وصناعية، ستساعد دراستُها على معرفة المزيد عن حياة الأنباط الاجتماعية والاقتصادية خارج عاصمتهم البتراء (انظر مخطط الموقع، الشكل ١).

وقد شهد الموقع فتراتِ استيطان مختلفةً، يرقى أقدمُها إلى العصر الحجري الحديث الفخاري أ (الألف السادسة ق. م.)، وأحدثُها إلى الفترة العثمانية، مرورا بالعصرين البرونزي والحديدي، والفترات النبطية-الرومانية، والبيزنطية، والأموية (Villeneuve and al-Muheisen 2000: 1527-1528).

غير أن أهم هذه الفترات على الإطلاق في الموقع، هي فترة الاستيطان النبطي-الروماني، التي عرفتها خربة الذريح بين القرنين الأول والرابع بعد الميلاد. وقد أسهمت التنقيباتُ، التي تُجريها في الموقع منذ سنة ١٩٨٤ بعثةٌ أردنية - فرنسية مشتركة، تحت إشراف زيدون المحيسن (جامعة اليرموك/ الأردن)، و فرنسوا فيلنوف (المعهد الوطني للبحث العلمي/ فرنسا)، بالتعاون مع دائرة الآثار العامة الأردنية والمعهد الفرنسي للآثار في الشرق الأدنى، أسهمت إلى حد بعيد في تحسين معرفتنا عن الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية للأنباط، خارج عاصمتهم البتراء (انظر نتائج هذه التنقيبات في التقارير الأولية المفصلة، التي أصدرتها البعثة بشكل منتظم (al-Muheisen and Villeneuve 1988; 1994; Villeneuve and al-Muheisen 2000).

وسندع جانباً في هذه الدراسة المجالَيْن الاجتماعي والاقتصادي، مركزين على الجانب الديني في آثار خربة الذريح النبطية كما برز وتجلّى على وجه التحديد في الهيكل (Sanctuary) ومعالمه.

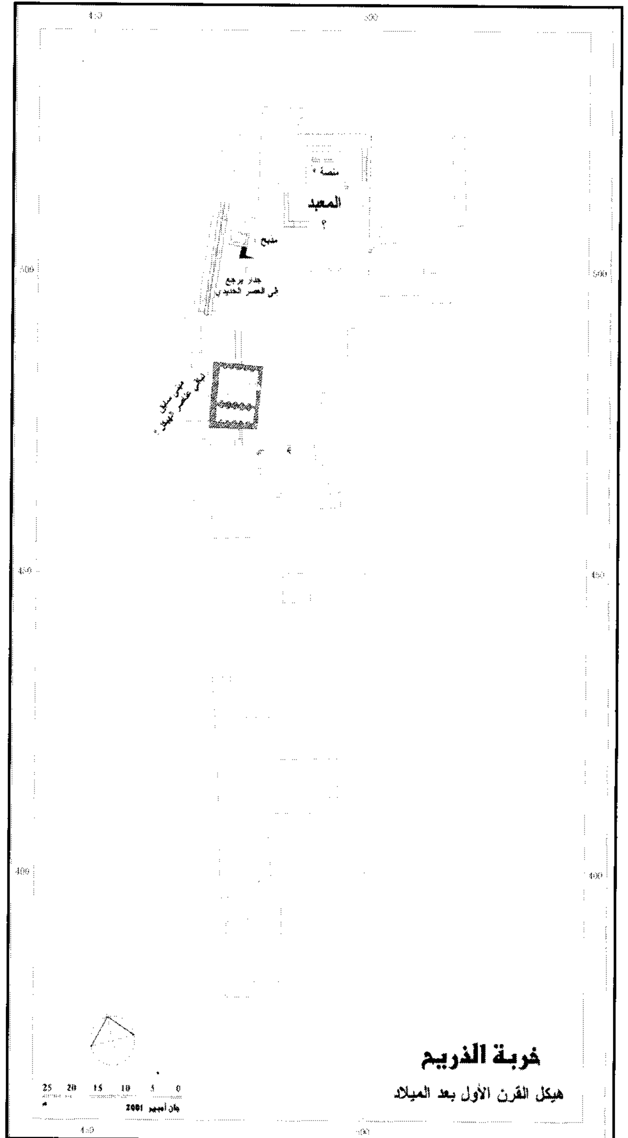
يحتل هيكل خربة الذريح، الذي يمكن أن يُعد واحدا من أكثر الأبنية الدينية التي تركها الأنباط اكتمالاً، مساحةً تناهز ١٥٠ م طولا و ٥٠ م عرضاً. غير أن المبنى، الذي أكتُشف لا يمثل المرحلةَ الأولى الأصليةَ للهيكل، بل يعكس حالةَ توسعته التي تمت في وقت لاحق؛ ذلك أن بناءَ الهيكل قد مر



الشكل ١: مخطط عام للموقع بعد تنقيبات موسم ٢٠٠١؛ (رسم جان أمبير J. Humbert وآخرون).

بمرحلتين اثنتين:

المرحلة الأولى (الشكل ٢): وهي المرحلة التي يمكن إرجاع تأريخها إلى القرن الأول الميلادي، ولم نتعرَّف عليها إلا من خلال بعض الآثار القليلة، التي يمكن الاستنتاج من خلالها أن الهيكل النبطي الأول يكاد يكون بني على أرض عذراء تماماً. وكان هيكل القرن الميلادي الأول حِمَى أو ساحة مقدسة (temenos)، يحيط بها سورٌ سميكٌ نسبياً (سمكه متر واحد)، ويحتل جزءَها الشماليَّ معبدٌ صغيرٌ مربعُ الشكل لا يتجاوز ضلعه ١٥ م، كانت تتخلل واجهتَه أبوابٌ ثلاثةٌ على



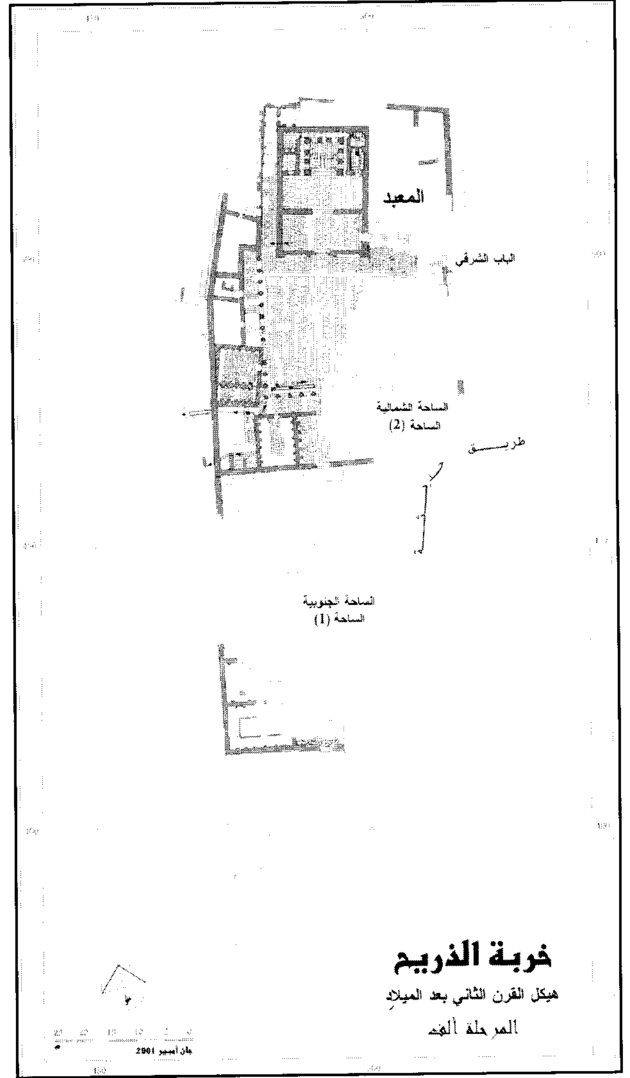
الشكل ٢: مخطط هيكل القرن الأول ب. م. (رسم جان أمبير وآخرون).

الأرجح، وتشغل مركزَه منصةٌ (platform) مرتفعةٌ على غرار تلك التي ستحتل مركزَ قدس أقداس المعبد العائد للمرحلة اللاحقة (معبد القرن الثاني بعد الميلاد). ولا نعرف، في الواقع، أهميةَ الدور الديني الذي لعبه المعبدُ الأولُ في محيطه القريب؛ لكن ما يبدو مؤكداً هو أن هيكل القرن الأول بعد الميلاد كان مبنىً دينياً نبطياً خالصاً، مورست فيه طقوسُ العبادة العربية التقليدية المرتبطة بتقديس الأنصاب.

المرحلة الثانية (الشكلان ٣ و ٤): تغطي هذه المرحلةُ الفترةَ الممتدة بين بداية القرن الأول ومنتصف القرن الرابع بعد الميلاد، وهو ما يوحي بأن إعادةَ بناء الهيكل قد استغرقت فترةً زمنية، تم خلالها توسعةُ المبنى، استجابةً -على الأرجح- لبرنامج مرتبط بالتحولات السياسية و/أو الدينية، التي عرفتها المنطقة، مع خضوع مملكة الأنباط بعد سنة ١٠٦ ميلادية لنفوذ روما، وكذلك خضوعاً لمتطلبات وظيفية مختلفة. ومع أن التوسعةَ قد أسفرت عن تعديلات كثيرة وأساسية مَسَّت مبنى المرحلة الأولى، إلا أنَّ مخطَّطَ الهيكل الجديد، وكذا اتجاهَه نحو الشمال، ينسجمان مع الإطارَ العامَّ، الذي كان ينتظم وفقه هيكلُ القرن الميلادي الأول. ولعلَّ في ذلك تفسيراً لاتجاه التوسعة نحو الجنوب دون الشمال، ولإدماج بعض عناصر المبنى الأول في المبنى الجديد، خصوصا تلك الواقعة شمالا، في المعبد، أي في الجزء الأكثر قداسة من الهيكل.

صُمِّم الهيكلُ وفق مخطط متَّسق لا يخلو من تماثل محوري. فقد انتظمت ساحتا الهيكل المتتاليتان في الجنوب والمعبدُ في الشمال وفق المحور نفسه، بحيث جاءت مداخلُ هذه الوحدات المعمارية ممتدةً على الخط نفسه. ولأن المجالَ لا يتسع هنا لعرض مختلف العناصر المعمارية للهيكل، فإننا سنركّز على المعبد ومكوناته المختلفة، لأن هذا الجزء من الهيكل هو الأكثر دلالة على الممارسات الدينية، موضوع هذا البحث، مشيرين، باختصار، لمظاهر التطور، التي طرأت على الهيكل خلال الفترة المذكورة.

تتضح ملامحُ هذه المظاهر من خلال مرحلتين اثنتين: "أ" (الشكل ٣) و "ب" (الشكل ٤). فالمرحلة "أ" شهدت بناءَ المعبد وساحتي الهيكل الجنوبية (S1) والشمالية (S2)، خلال النصف الأول من القرن الثاني بعد الميلاد (١٠٠-١٥٠ ميلادية)،

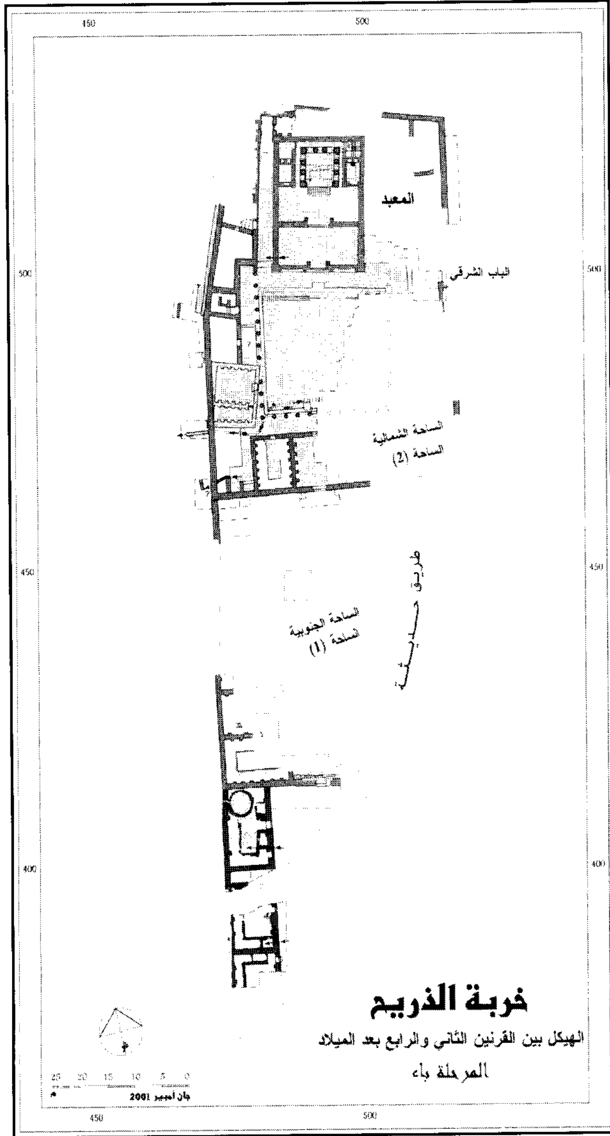


الشكل ٣: مخطط هيكل القرن الثاني ب. م. - المرحلة أ (رسم جان أمبير وآخرون)

في حين تميّزت المرحلة "ب" بإضافة عدد من الغرف في المنطقة الجنوبية من الهيكل (المنطقة S7)، وكذلك بعض التغييرات، التي أُدخلت على المعبد (إغلاق الباب الشرقي للرواق الجنوبي، تعديل المداخل المُفضية إلى المنصة التي تحتل مركزَ قدس الأقداس)، وعلى الساحة الشمالية (S2).

معبد خربة الذريح: معطيات جديدة حول ديانة الأنباط

يبلغ طول معبد خربة الذريح، الذي كان يرتفع إلى ما

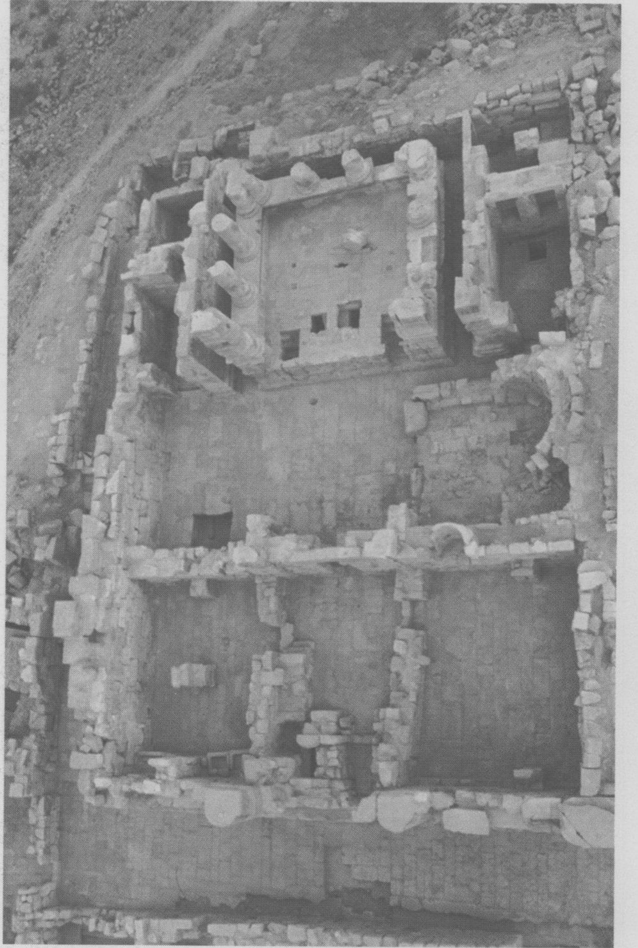


الشكل ٤: مخطط هيكل القرن الثاني ب. م. - المرحلة ب (رسم جان أمبير وآخرون)

يُقارب ١٥ مترا تقريباً، ٢٢ متراً وعرضه ١٥ متراً (اللوحة ١). ويحتل المعبد الجزءَ الشماليَّ لسلسلة متتالية من الساحات. وهو يتكون من مجازٍ، أو ما يمكن أن يُعد رواقاً أمامياً يتقدمه بابٌ ضيق (٤٠ر٢م). وعلى ما يبدو فقد كان هذا المجاز، الذي يشغل الجزءَ الجنوبيَّ من المعبد، خلواً من أي زينة، إلا من شريط زخرفي من الجص كان يزيّن الأجزاءَ العلوية من جدرانه. وكان هذا الرواق يُفضي عبر باب أكثر اتساعا يبلغ عرضه ٧٠ر٣م، شغل الجزءَ الأوسط من واجهة زيَّنتها مجموعةٌ من المشاكي (niches) المكسُوَّة بالجص، إلى

المَقْدِس (Cella)، الذي اتخذ شكلَ صالة مستطيلة تحتل عرض المعبد كلَّه. وقد تميز المَقْدِسُ بزخارفه الجصية الغنية والمتنوعة (اللوحة ٢). ومن المقدس كان يُعبر إلى الجزء الأكثر قداسة من المعبد، أي إلى قدس الأقداس (Holy of Ho-lies).

إن ما يثير الانتباهَ بشكل أساسي في قدس الأقداس هو



اللوحة ١: صورة شاملة للمعبد، مأخوذة من فوق باتجاه الشمال. وتبدو واضحةً أجزاءُ المعبد التي تتعاقب من الجنوب إلى الشمال على النحو التالي: جدار الواجهة ثم المجاز فالمَقْدِس (Cella) وأخيراً في أقصى الشمال قدس الأقداس، الذي تحتل مركزَه منصة مربعة (موتاب) كانت توضع عليها أنصابُ الآلهة، ويحيط بها رواقٌ ضيقٌ كان على الأرجح بمثابة ممر للطائفين حول المنصة. لاحظْ في المقدس، باتجاه الشرق، حنيةَ الكنيسة البيزنطية التي بُنيت خلال النصف الثاني من القرن السادس ب. م. في هذا الجزء من المعبد (تصوير فرنسوا فيلنوف F. Villeneuve).

المصطبة أو المنصة (Platform)، التي بُنِيَتْ فوق قبوين سفليين، ويعزلها عن الغرف الجانبية رواق ضيق، ربما كان ممراً للطائفين حولها. وإن هذا العنصرُ الدينيُّ المهم، ليقدم - إذن- مثالاً للعمائر الدينية، التي عُرفت في نقوش البتراء باسم الـ"موتاب"، وهي كلمة أثار تفسيرُها جدلاً بين الدارسين لأن سياقات ذكرها في نقوش البتراء غير واضحة بما فيه الكفاية، وإن غلب الاعتقاد حاليا بأن هذه اللفظةَ دالَّةٌ على المجالس أو العروش، التي كانت توضع عليها أنصابُ الآلهة (Healey 2001: 158-159)[٢]. فمن المؤكد، إذن، أن "موتاب" معبد خربة الذريح قد احتل مكاناً أساسياً في طقوس العبادة، التي كانت تجري في هذا المبنى الديني، الذي - لا شك - أنه اكتسب أهميةً كبيرةً تجاوزت بكثير محيطَه المتواضعَ. بيد أن السؤال، الذي يتبادر إلى الأذهان هو: ما طبيعة هذه الطقوس ؟ ممَّ تكوَّنت، وما الجامع بينها وبين التماثيل النصفية والمواضيع الميثولوجية، التي جُسّدت على واجهة المعبد ؟

تفرض الإجابةُ على هذه التساؤلات معالجةَ الموضوع وفق مستويين: مستوى يتعلق بالجزء الداخلي من المعبد، إذ يقدم قدسُ أقداس معبد خربة الذريح معلوماتٍ مهمَّةً عن عبادة الأنصاب وطقوس التضحية للآلهة، كما سادت عند عرب ما قبل الإسلام، ومستوىً يرتبط بواجهة المعبد، التي تُحيل بمنحوتاتها وتماثيلها الآدمية النصفية إلى فضاء ديني وثقافي مختلف.

قدس الأقداس وعبادة الأنصاب (الشكل ٥):

وكما سبقت الإشارة إلى ذلك، فقد احتلت قدسَ أقداس المعبد منصةٌ أو مصطبة مربعة الشكل، يبلغ طولُ ضلعها سبعةَ أمتار، وارتفاعُها ١٫٤ م، كان الارتقاء إليها بواسطة درجين جانبيين ضيقين، وتعلوها مظلة ذات أعمدة. وفي وقت لاحق، على الأرجح خلال القرنين الثاني أو الثالث بعد الميلاد، أُغلقت الدرجتان واستبدلتا سلماً ثابتاً يوصل إلى المنصة، التي تدل التجاويف الثلاثة المحفورة على سطحها على أنها كانت قاعدةً توضع عليها الأنصاب. ومع أننا لم نعثر على أي نصب في هذه المنطقة من المعبد؛ وهو أمر يسهل فهمه إذا

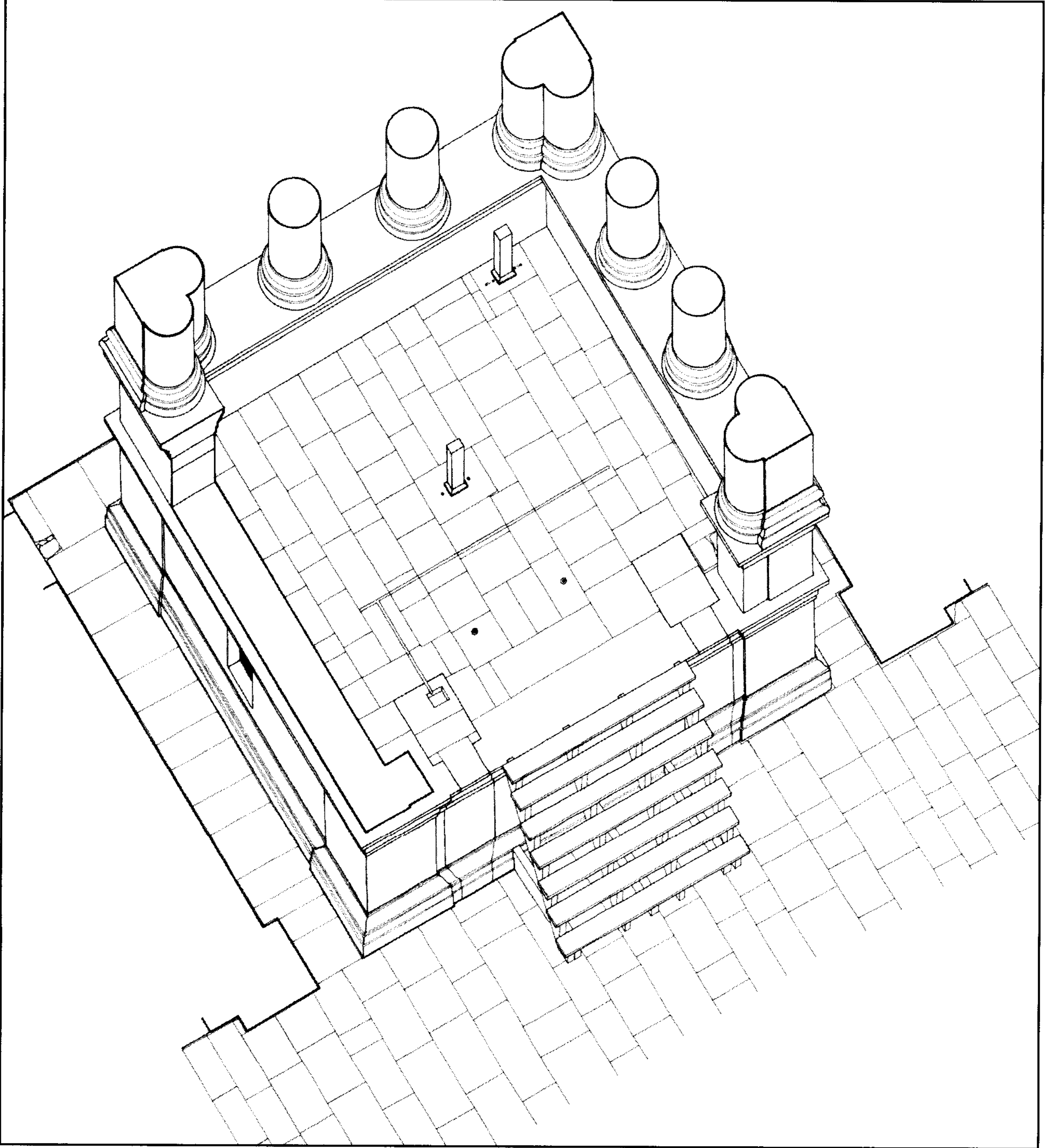
أخذنا بعين الاعتبار عواملَ إعادة استيطان المبنى خلال الفترتين البيزنطية والإسلامية المبكرة، التي أدت إلى طمس جزء من معالم المعبد النبطي، إلا أنه ما من شك أن هذه الأنصاب لم تختلف في شيء عن تلك، التي يحتويها بأعداد كبيرة موقعا البتراء والحِجْر (اللوحة ٣).

بيد أن معبد خربة الذريح يتفرَّد بغنى المعلومات، التي تقدمها عناصرُه المعمارية، وتحديداً ما يتعلق بالطريقة، التي كانت تقام وفقاً لها الطقوسُ الدينيةُ في الأجزاء الأكثر



اللوحة ٢: قطعة من الجص تمثل رأسَ أنثى (آلهة ؟). شكلت هذه القطعة الجميلة جزءاً من الزخرفة، التي زينت جدران مقدس المعبد (تصوير إيغ فونطين H . Fontaine).

قداسة من المعابد النبطية، ما يتيح تعميقَ فهمنا لبعض المباني الدينية النبطية المشابهة، مثل معبد اللات في إرم (انظر Tholbecq 1998)، أو المعبد المعروف باسم "معبد الأسود المجنحة" في البتراء، أو حتى المعبد الصخري المعروف باسم "المذبح"، الواقع بين المسرح ووادي فَرَسَه، غير بعيد عن سيق البتراء، دون أن ننسى أخيراً المعبد الأهم في البتراء، أي



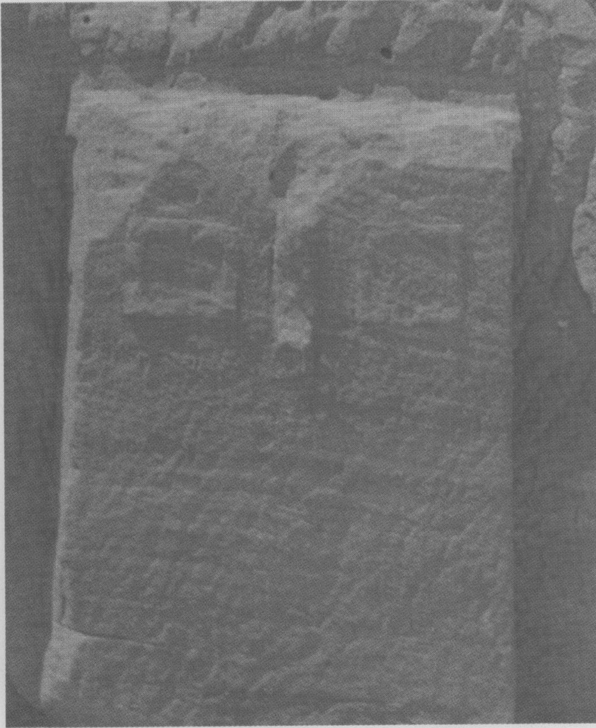
الشكل ٥: رسم ثلاثي الأبعاد (axonometric) لمنصة المعبد. لاحظْ موضعَ النَّصَبَيْن والميزابَ، الذي يوصل دمَ الأضاحي لحوض يقع دون مستوى المنصة، ثم الدرجَ الخشبي المُوصلَ إلى المنصة (رسم جان أمبير).

"قصر البنت". ذلك أن العناصر، التي تقدمها المنصةُ، بوصفها قاعدةً للأنصاب ومجلسا للآلهة، تعكس جانباً أساسياً من الطقوس والاحتفالات الدينية الموسمية، التي كانت تقدَّم خلالها الأضاحي للآلهة.

وفي نص متأخر كتبه القديس إبيفانيوس (Saint Epi-phanius) أسقف سلاميس، حوالي ٣١٥-٤٠٣ ميلادية)، في معرض حديثه عن البتراء والإسكندرية وإلوسا أو الخالصة، وهي مدينة نبطية في النقب، ثمة ما يوضح هذه الطقوس ويُلقي الضوءَ عليها. يقول إبيفانيوس متحدثا عن أهالي هذه المدن وطقوسهم الدينية:

"*... وهم يسهرون الليلَ كلَّه مرنِّمين أناشيدَ للصنم تصحَبُهم المزامير. وعندما يُنهون سهرَهم مع صياح الديك، ينزل حاملو مشاعلَ إلى مكان مقدس سفلي ويأخذون من هناك صنما من خشب [...] فيدورون بالصنم سبعَ مرات حول الـ"ناووس" الداخلي بمزامير وطبول وأناشيد، ثم يولِمون (يصنعون وليمة) ويعيدون الصنمَ إلى مكانه السفلي .[...] يحدث هذا أيضا في البتراء [...] في الـ"أيدوليون" eidôlion، حيث يرنمون بالعربية أناشيدَ للعذراء التي يسمونها كعمو Xaauov*[٣] *يعني كوري Kopnv أو العذراء في العربية. والابن الذي وُلد لها يسمونه ذو الشرى Dousarès أي "الابن الوحيد للرب". وقد حدث هذا أيضا هذه الليلة في إلوسا".(Villeneuve and al-Muheisen 2000: 1557).*

إن النزعة الإسقاطية أو التوفيقية في هذا النص لا يمكن أن تُغفلَها العين؛ إذ يُلاحظ إسقاطَ مفردات هي من صميم اللاهوت النصراني: (العذراء، الابن الوحيد للرب) على مفردات وثنية خالصة. وبغض النظر عمَّا إذا كانت هذه النزعة تعبيراً عن نظرة الكاتب (إبيفانيوس) للأمور، أو كونَها انعكاساً لاتجاه توفيقي تبناه الأنباطُ كردة فعل تُجاه المد المسيحي، الذي عرفته المنطقة ابتداءً من القرن الرابع بعد الميلاد، فإن هذا النص يكتسب أهميةً كبيرة. فهو لا يقتصر على إلقاء الضوء على المعالم، التي تُقدمها بعض المعابد النبطية فحسب، بل يتجاوز ذلك بتقديمه وصفاً حياً للطقوس الدينية، كما كانت تُجرَى داخل هذه المعابد. والاتفاق المثير بين المعلومات الواردة في النص، وبين المعطيات الآثارية، التي



اللوحة ٣: حت تجريدي يمثل نصباً ذا عينين وأنف. من المحتمل أن نصبي معبد خربة الذريح كانا يتخذان شكلا مماثلا لهذا الأثر المنحوت على جبل إثلب في الحجر-مدائن صالح (نقلا عن الأنصاري وأبو الحسن ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م: ٦٩).

يقدمها "موتاب" معبد خربة الذريح، يُضفي على نص إبيفانيوس مصداقية تجعلنا نقبل ما ورد فيه دون تحفظ، بما في ذلك المعلومات، التي لا يمكن أن نفحص صحتَّها باللجوء إلى الآثار؛ نقصد تحديداً الجوانبَ المتعلقةَ بالاحتفالات الدينية، بما فيها من ترانيم وولائم طقوسية.

فـ "موتاب" معبد خربة الذريح يجد نظيرَه الأمثل في الـ"ناووس"، المذكور في نص إبيفانيوس، والقبوين الواقعين أسفلَ الـ"موتاب"، حيث كانت تودَع الأنصابُ وقطعُ العبادة عندما تنفض الاحتفالات الدينية، يقابلهما المكانُ السفليُّ المقدَّس الوارد في النص نفسِه. أما الوليمة، التي ذكرها إبفانيوس، فربما وجدنا تجسيداً لها في المجالس الطقوسية (triclinia)، التي ما زالت آثارُ الهيكل تحتفظ ببعضها.

وإذا كان نص إبيفانيوس يقدم معلوماتٍ قيّمةً، لا نستطيع الاستدلالَ عليها من خلال الآثار، مثل تلك المتعلقة بمواقيت تنظيم الطقوس (الليل) أو كيفية إحيائها (الطواف،

الترانيم والولائم)، فإن آثار معبد خربة الذريح تقدم معلومات لا تقل أهمية، لأنها تتمم هذا النص وتجعلنا ندرك ما ورد فيه عينَ اليقين، ونقصد هنا تحديداً ما تعلق بالأضاحي وكيفية تقديمها للآلهة/ الأنصاب، على "موتاب" المعبد. فقد عثر في هذا الجزء من المعبد على كل ما من شأنه إبراز هذا الجانب، الذي احتل مكانةً مهمة في ديانة الساميين عموماً، والعرب خصوصا خلال فترة ما قبل الإسلام.

كان "موتاب" معبد خربة الذريح يشهد، على ما يبدو، خلال الأعياد الدينية تقديمَ الأضاحي والقرابين للآلهة، التي نجهل أسماءَها بسبب عدم العثور، حتى الآن، على أي نقش يذكر الآلهة، التي كُرّس لها المعبد. بيد أن وجودَ ثلاث حفر صغيرة نُفذت على سطح الـ"موتاب" وفق خط منحرف، يدل -دون شك- على أن نصبين اثنين كانا يشغلان الحفرتين الوسطى والشمالية-الشرقية، كما يبدو في (الشكل ٥)، بينما كانت الحفرة الجنوبية-الغربية تتلقى، على الأرجح، الدماءَ المسكوبة على النصبين عبر ميزاب ضيق حُفرَ أمام النصب الأوسط، كانت وظيفتُه ايصالَ هذه السوائل إلى حوض قُدَّ من جذع عمود. وكان هذا الحوض يوضَع في الزاوية الجنوبية-الغربية للـ"موتاب"، دون مستوى أرضية المنصة، حتى يكون في إمكانه تلقي وجمع سوائل الأضاحي المسكوبة على النصبين. أما الثقوب التي تخللت سطحَ الـ"موتاب" (الشكل ٥)، فقد أدت وظيفةً مماثلةً، إذ كان الغرضُ منها تمرير الدماء إلى أحواض تقع أسفل الـ"موتاب" (Villeneuve and al-Muheisen 2000: 1556-1557; Villeneuve and al-Muheisen: In Press).

وقد اعتقدنا في البدء أن الحفرَ الثلاث، التي تتخلل قاعدةَ المنصة بشكل منحرف، كانت مواضعَ لتثبيت ثلاثة أنصاب، وهو ما دعانا إلى الاعتقاد بأنَّ آلهةً ثلاثةً كانت تَتَسيَّد الهيكل. بيد أن مزيداً من الفحص والتدقيق دفعنا إلى تعديل هذا الاستنتاج، وذلك بالذهاب إلى أن الأمرَ ربما تعلق، على الأرجح، بنصبين اثنين لا ثلاثة. وقد يصح هذا الاعتقاد بالنظر إلى أن الحفرتين الشمالية-الشرقية والوسطى تنفردان بوجود ثقبين يحاذي كلَّ واحدٍ منهما الحفرة على حدة، بينما لا تحظى الحفرة الجنوبية-الغربية بهذه الخاصية (الشكل ٥).

ونتساءل هنا حول هوية الآلهة، التي جسّدتها هذه الأنصاب، هل يتعلق الأمر بآلهة "نبطية" خالصة، من قبيل ذو الشرى أو اللات/ العزى ؟ هل يتعلق الأمر بآلهة دخيلة على الـ"بانثيون" النبطي، لعلها ذات صلة بالآلهة التي سادت عبادتُها في هذه المنطقة من الأردن خلال عصر الحديد (قوس كبير آلهة الإدوميين مثلا...) ؟ هل يتعلق الأمر بتوفيق (syncretism) أو مماثلة (assimilation)، بين مجموعة من الآلهة المختلفة اسماً، المتشابهة جوهراً ووظيفة ؟

من الصعب الإجابة على هذه الأسئلة في الوقت الراهن؛ وما دام النص غائبا فأن أقصى ما يمكن الطموح إليه عند محاولة الرد على هذه التساؤلات، هو الزعم بأن هيكل خربة الذريح قد تَسَيَّده زوجٌ من الآلهة قد لا يختلف كثيرا عن الزوج (هدد/ عطرغتيس)، الذي نجد صداه موجوداً بقوة في مواقع مجاورة، مثل خربة التنور (McKenzie et al. 2002: 76)، أو قصيَّة مثل إدسَّا-الرُّها (أورفه)، في الجزء الشمالي من الرافدَيْن (Ross 2001: 89-90).

إن ما يثير الانتباهَ، كذلك، هو أن هذه الحفر، التي كانت تُثبت فيها الأنصابُ، انتظمت وفق خط منحرف لا يتعامد مع الخط المحوري شمال-جنوب، الذي ينتظم وفقه الهيكل، ولا يتوازى مع واجهة المعبد وعناصرها المعمارية المنحوتة. وإذا كنا غير قادرين، بعدُ، على فهم السبب وراء اختيار تقديم الأنصاب على منصة المعبد وفق خط منحرف، فإن المعطيات، التي يقدمها "موتاب" معبد خربة الذريح باتت تناقض ما ذهب إليه، على سبيل المثال، ميشال جافليكوفسكي (M. Gawlikowski) حين عدَّ المصاطبَ أو المنصات (platforms)، التي تحتل مراكزَ بعض معابد الشرق الأدنى العائدة للفترة الرومانية، "موضعا لإقامة طقوس التضحية لا لعرض الأنصاب [...]، ساحةً معمَّدةً ضمن مَقْدِس المعبد لا قاعدة معمارية مخصَّصة لحمل قطع العبادة" (Villeneuve and al-Muheisen 2000: 1556, n. 37).

إذن من الثابت أن هذا الجزء من معبد خربة الذريح قد خُصِّصَ لطقوس دينية عربية خالصة، احتلت فيها شعائرُ

معينةٌ، مثل: التضحية، وسكب دماء الأضاحي على الأنصاب، والطواف، وإقامة الولائم الطقوسية... مكانةً أساسية. ويبدو أن الـ"موتاب" كان قابلا للكشف أو للحجب، بفضل حاجز معدني في مقدمة المنصة، مثلما هو الأمر في معابد نبطية أخرى، كمعبد "الأسود المجنحة" في البتراء.

ونستطيع، إذن، من خلال المستمسكات الآثارية المتاحة، تصوُّر إجراء هذه الطقوس على نحو يتفق تمامَ الاتفاق مع الوصف، الذي قدمّه أسقف سلاميس (المبيّن سابقاً)، مضيفين أن الغرف الجانبية، التي تحيط بـ"الموتاب" (أربع غرف: غرفتان ذات اليمين وغرفتان ذات الشمال) لا تنفصل عن هذا السياق الطقوسي؛ وحتى الغرفة الشمالية-الشرقية، التي شغلتها مِرقاة دَرَج، لا بد أن الكهنة كانوا يصعدونها حاملين أنصابَهم لمعاينة تجليات الآلهة (Theophanies)، على الأرجح، خلال اللحظات الأخيرة من إحياء هذه الطقوس. بعد ذلك، وفور انفضاض الاحتفالات الدينية، كانت تودع الأنصاب ومتعلقات العبادة في القبوين الواقعين أسفل الـ"موتاب"، أو في القبو الموجود تحت الغرفة الجنوبية-الشرقية (Villeneuve and al-Muheisen 2000:. 1556-1558; 2000/2001: 280). أما القيّمون على تنفيذ هذه الطقوس، فلا بد أنهم كانوا ينتمون إلى "أسرة" اضطلع أفرادُها بدور محوري في إدارة شؤون الهيكل والقرية. ولعل أبرز الآثار الدالة في الموقع على تميّز أفراد هذه "الأسرة" عن غيرهم، تكمن في المنزل الفخم (V1)، الذي ربطته جادّةٌ مبلطة بالهيكل، وكذا في الضريح التذكاري (C1)، الذي تفوّق كثيراً بحسن عمارته على باقي مدافن القرية (انظر الدراسة المستفيضة لهذا الضريح، كما لمدافن القرية، في Lenoble et al. 2001).

وكما سبقت الإشارة إلى ذلك، فإن إبيفانيوس يقدّم في نصه المذكور أعلاه معلومةً في غاية الأهمية، لا يمكن الاستدلالُ عليها من خلال المستمسكات الآثارية، وهي: إحياء هذه الطقوس ليلاً، واستمرارها حتى طلوع الفجر. بيد أن هذا التحديد الدقيق لا يمنع من التساؤل حول الموسم، الذي كانت تُجرى فيه هذه الاحتفالات الدينية. ما موقعه من السنة؟ أكان يحل في الخريف أم في الصيف ؟ هل ارتبط إحياء هذه الطقوس بحدث معين، أو بظواهر طبيعية محدَّدَة (منازل النجوم مثلا) ؟

إن الإجابة على هذه الأسئلة، تستوجب الانتقالَ إلى جزءٍ آخرَ مهمٍ من معبد خربة الذريح، إلى الواجهة، التي شكل الكشفُ عن بعض أجزائها في السنوات الأخيرة حدثا في حد ذاته.

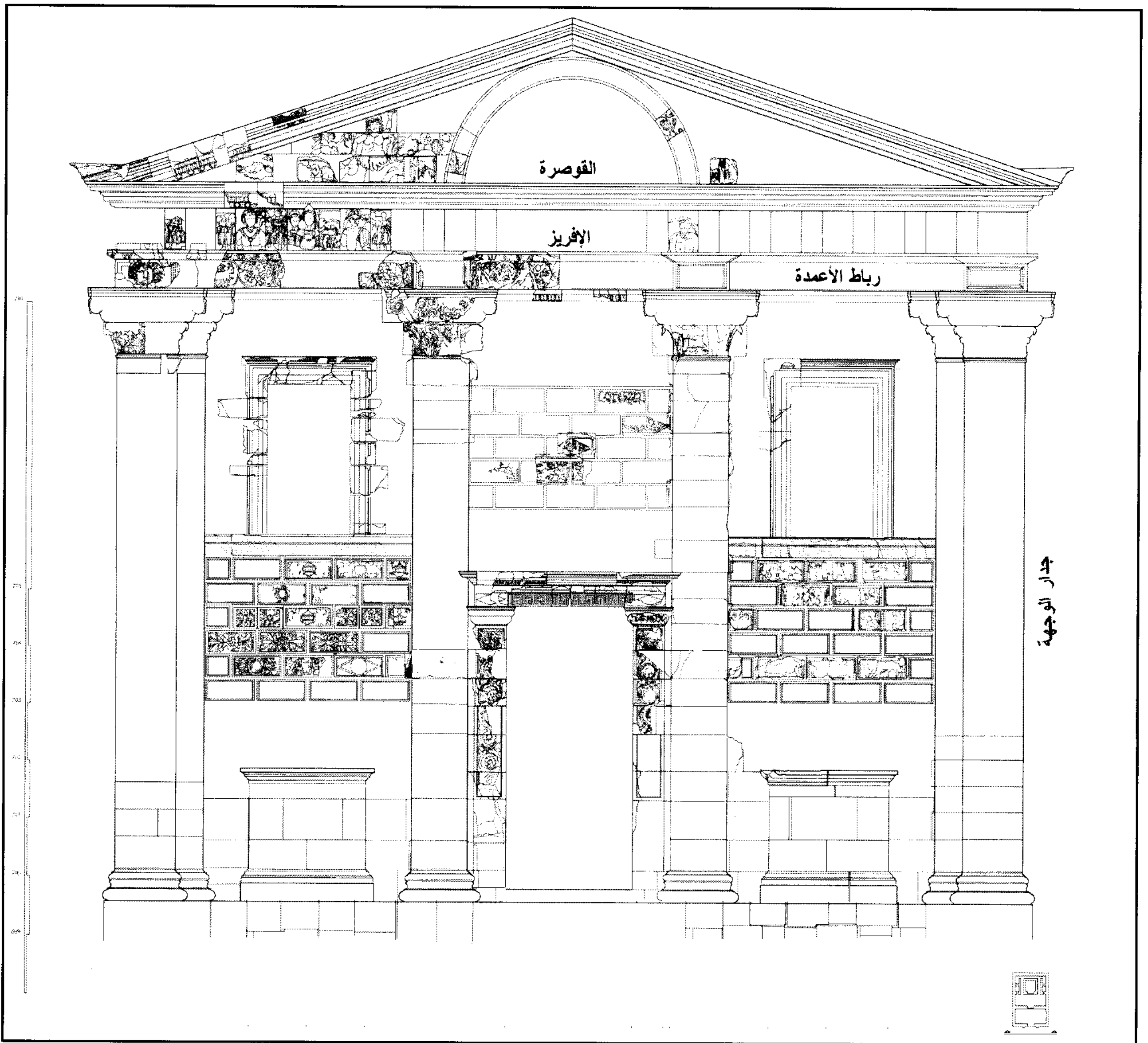
واجهة المعبد: الفن الديني النبطي بين الأصيل والدخيل:

حتى سنة ١٩٩٤، لم تكن البعثة الأردنية-الفرنسية قد أماطت اللثام سوى عن عناصرَ قليلة من هذه الواجهة، كان أبرزها على الإطلاق، في ذلك الحين، التمثال النصفي، الذي عُثر عليه خلال الموسم السابع من التنقيبات وعُدّ حينَها تمثالاً نصفيا يجسد هرمس أو على الأرجح أكتب/الكُتبى، نظيرَ هرمس في الـ"بانثيون" النبطي (al-Muheisen and Villeneuve 1994: 745-746. Fig. 5). بيد أنه إذا كان هذا التحديد قد أملته اعتباراتٌ أيقونغرافية في ذلك الحين، فإن توالي اكتشافات عناصر الواجهة، خصوصا خلال الموسم التاسع (موسم ١٩٩٨)، قد دفع إلى إعادة النظر في هذا التحديد، وذلك عن طريق ربط التمثال النصفي المكتَشَف بسياق أكثر شمولاً واتساعاً هو سياق الواجهة، التي كانت "تزيّن" معبدَ خربة الذريح بين القرنين الأول والرابع بعد الميلاد.

وقد ناهز ارتفاعُ الواجهة (الشكل ٦) ١٥ مترا؛ وهي بذلك تُعَدُّ واحدةً من أكثر الواجهات، التي تركها الأنباطُ ضخامةً واكتمالاً. وتشكل واجهة معبد خربة الذريح الامتدادَ الرأسيَّ للجدار الجنوبي للمعبد، وهو امتداد كان يظهر على شكل مُنشأة بارزة، ترتكز على أربعة أعمدة استنادية أو عضادات، تزيّنها تيجانٌ كورنثية، وتتوزع بشكل متماثل محورياً على يمين ويسار بابٍ ضخم يناهز علوُّه خمسةَ أمتار، يُفضي إلى مجاز جنوبي يحتل عرض المعبد كلَّه. ونجد التماثل المحوري مطبقاً بإحكام في مختلف أجزاء الواجهة، حيث تتوافر العناصرُ الواقعة في النصف الغربي من الواجهة، على ما يناظرها في النصف الشرقي. فإذا انطلقنا من الأسفل إلى الأعلى وجدنا

قاعدتين، ربما حملت كلٌّ واحدة منهما على حدة تمثالَ حيوانٍ حامٍ (apotropaic) للمعبد. ويدل عثورُنا أمام الواجهة على بعض الكسر المنحوتة أن هذا الحيوان، على الأرجح، من فصيلة السِّنَّوْريات (فهد أو نمر ؟). ثم توجد بعد ذلك إطاراتٌ منحوتةٌ ضمت أشكالاً مختلفة تفتقد نسبياً إلى التجانس، يبرز بينها بشكل خاص نحتٌ قد يرمز إلى الذئبة الرومانية وهي ترضع التوأمَ ريموس و رومولوس، مؤسسيّ روما حسب الأسطورة اللاتينية الشهيرة (Villeneuve and al-Muheisen 2000: 1546; Villeneuve 2002). وتعلو هذه الإطاراتِ نافذتان، يدل وجودُهما على أن الصالة الواقعة مباشرة خلف الواجهة (المجاز الجنوبي للمعبد) لم تكن غرفةً بالمعنى الدقيق، بل ساحةً أو مجازاً غيرَ مسقوف، يفضي باتجاه الشمال إلى مَقْدس المعبد[cella] (Al-Muheisen and Villeneuve 2000: 1543).

بيد أن أهمَّ ما في الواجهة على الإطلاق هي العناصر المنحوتة، التي كانت تشكل الأجزاءَ العلويةَ للجدار الجنوبي للمعبد: رباط الأعمدة (architrave) ثم الإفريز (frieze) فالجبهة المثلثة أو الجبلونة أو القَوْصَرة (pediment). وعلى



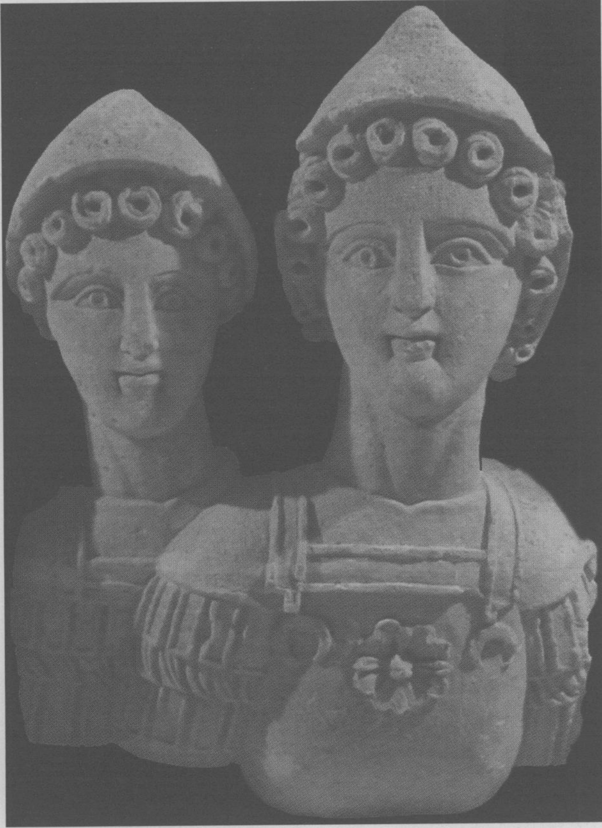
الشكل ٦: رسم تصوري لواجهة معبد خربة الذريح، حيث يمكن تبيُّن عناصر الواجهة المختلفة: رباط الأعمدة ثم الإفريز ذو التماثيل النصفية فالقَوْصَرة المثلثة في الأعلى... (إنجاز رونو دو لانو R. de La Noue رسم رفائيل دريزار R. Drizard وآخرون).

الرغم من تعرّض الكثير من هذه العناصر للتحطيم من قبل مناهضي الأيقونات (Iconoclasts)، أو لإعادة الاستخدام خلال الفترتين البيزنطية والأموية، إلا أن سنوات من العمل الدؤوب قد مكنتنا من وضع تصور شبه تام لهذه الواجهة (الشكل ٦).

رباط الأعمدة (architrave): تشكّل من حجارة ضخمة، زينتها زخارف بارزة زاوجت بين الأشكال النباتية (الكرمة، سعف النخيل...) والحيوانية (الوعول والطيور...)، وقدمت في بعض الأحيان صدىً لموضوعات ميثولوجية إغريقية أو رومانية (إيروس قاطفا للعنب...؟) غير واضحة بما فيه الكفاية. وقد تشكَّل طرفا رباط الأعمدة من نحتَيْن، يمثل كل واحد منهما رأسَ مِدُوزة (Medusa).

الإفريزُ (frieze): مَثَّلَ بعناصره المنحوتة البارزة أهمَّ أجزاء الواجهة على الإطلاق. وقد تشكّل من تماثيل نصفية تعاقبت بشكل أفقي مع رباتِ نصر مجنَّحَة، حيث توَّجت كلُّ ربة نصر مجنَّحَة (Nike) التمثالَ النصفيَّ، الذي كان يعقُبُها. ولعل ما عُثر عليه إلى الآن من تماثيل نصفية كافٍ للتأكيد على أن الأمر يتعلق هنا بمنحوتات رمزت للأبراج الإثني عشر؛ وقد اتخذت أشكالاً آدمية وانتظمت بشكل أفقي على هيئة شريط، ناهز عرضُه اثني عشر متراً (الشكل ٦). وهاتان ميزتان يندر أن نجدَهما في المنحوتات الدالة على الأبراج في فن الشرق الأدنى القديم، إذ اتخذت تلك المنحوتات، في الغالب الأعم، أشكالاً آدمية وَ/أو حيوانية، وانتظمت داخل حلقات أو أنصاف دوائر (Ness 1990: 79-90). ويكفي أن نتأمل بعض العلامات الموجودة على التماثيل النصفية المكتشَفَة، لنستطيعَ تحديدَ البرج المقصود: القرنان لبرج الثور، والقُرَص لبرج السرطان، ثم الميزان مرسوماً على الصدر لبرج الميزان (الشكل ٦)، أما برج الجوزاء فدلَّ عليه التمثالُ النصفيُّ المزدوَج، الذي نُفِّذَ وفق أسلوب بالغ السلاسة (اللوحة ٤).

القَوْصَرَة أو الجبهة المثلثة (pediment)، على غرار باقي



اللوحة ٤: تمثال نصفي يرمز لبرج الجوزاء. شكل هذا الأثر المنحوت جزءا من إفريز الواجهة (تصوير كريستيل مارك C. March).

أجزاء الواجهة، فقد تماثَل جزءاها الأيمن والأيسر محورياً دون أن يقدما عناصرَ بالغة البروز، مثلما هو الأمر في الإفريز. ويبدو أن عقداً قد شغل مركزَ القَوْصَرَة، لكن يظل من غير المعروف ما إذا كان هذا العقد في الأصل فارغاً أو ممتلئاً؛ ولأن قاعدةَ التماثل المحوري هي السائدة في كل أجزاء الواجهة، فإن أشكالاً مماثلة لتلك، التي كُشف عنها في الجزء الأيسر من القوصرة، لا بد أنها كانت "تُزيِّن" الجزءَ الأيمن كذلك. ويتعلق الأمرُ تحديداً بأشكال منحوتة قليلة البروز تمثل قنطوراً بحرياً (Centaur)، أو ما يُعرف في الميثولوجيا اليونانية باسم تريتون (Triton)، وهو وحش هجين جزؤُه العلوي بشري والسفلي حيواني، ينتهي بذَنَب حلزوني طويل. ويُلاحظ هنا بأن الـ"قنطور" قد صُوِّر بشكل مُواجِه (frontal) تماماً، وهو يرفع إحدى يديه، تُتَوِّجُه ربةُ نصر مجنَّحة، بينما يفصله عن منطلق العقد نسرٌ قد أفردَ جناحيه، وفي أقصى اليسار ثمة نحتٌ قليل البروز يمثل سمكة

(Villeneuve and al-Muheisen 2000: 1554).

إن المجالَ هنا لا يتسع للخوض في المدلول الميثولوجي لهذه "المشاهد"، وحسبُنا أن نعترفَ بأننا ما زلنا بعيدين عن فهم مدلول الواجهة، ليس لأن ثمة نقصا في معارفنا حول هذا الموضوع، ولكن لأن السياق العام لهذه المنحوتات هو في غاية الغرابة. ولعل في هذه "المشاهد" ما يدل على مزج واعٍ ومدروس، قام به الفنان النبطي بين عناصر محلية وأخرى دخيلة (شرقية وفارسية بالأساس)، وهو ما يؤيد ما ذهبت إليه جوديت مكّنزي حين استنتجت بأن " [...] الثقافةَ النبطية لم تنتُج عن سوء فهم محلي للمعالم الكلاسيكية، بل إن سماتِها المميزة ناتجة بالأحرى عن اختيار مقصود لبعض العناصر المحلية ومزاوجتها مع عناصر كلاسيكية من مصر وأخرى من الشرق القديم (آشور وبابل). والتركيبة الحاصلة جعلت معنى هذه الأمثلة غيرَ واضح بالنسبة للدارس المعاصر." (McKenzie 2001: 109).

هدفنا هنا تحديداً الإجابةُ على سؤالين:

- ما هي الآلهة التي كُرِّسَ لها هيكل خربة الذريح ؟
- في أي فترة من السنة كانت تُقامُ الاحتفالاتُ الدينيةُ في المعبد ؟

في دراسة لهما قيد النشر، حاول فرنسوا فيلنوف وزيدون المحيسن (Villeneuve and al-Muheisen: In Press) الإجابةَ على هذين السؤالين، عن طريق استحضار بعض الشواهد، التي يقدمها في هذا الشأن موقعٌ مهم مجاور هو خربة التنور؛ فالموقعان معاً، أي خربتا الذريح والتنور، يقدمان شواهدَ متعددة، أيقونوغرافية بالأساس، على ارتباط الطقوس في الهيكلين إلى حد ما بالنجوم والكواكب. هذا ما تؤكده المكانة، التي احتلتها الأبراجُ الإثنا عشر في الذريح، كما في التنور. ومع أن القياس في هذه الحالة قد لا يخلو من مجازفة، إلا أنه بالإمكان الافتراض أن الآلهة، التي تَسَيَّدت هيكلَ خربة التنور (الزوج هدد/ عطرغتيس على الأرجح أو ذو الشرى/ العُزَّى ؟) هي نفسُها، التي كانت محطَّ عبادة وإجلال في هيكل خربة الذريح. وحسبنا أن الموقعَ الأخير قدم بعض الشواهد الأيقونوغرافية، التي قد ترجح هذه الفرضية؛ ونخص هنا بالذكر قرْنَيْ وفرة (horn of abundance = cornucopiae) ونحتاً يمثل رأسَ رجلٍ مُلتحٍ. وإذا كان من غير المشكوك فيه أن هذه القطع المنحوتة كانت تشكل جزءاً لا يتجزأ من منحوتات الواجهة، فإن مكانَها الأصليَّ في الجدار الجنوبي للمعبد يظل موضعَ تخمين.

هل يجوز أن نرى في رأس الرجل الملتحي ما يرمز إلى ذو الشرى، وفي قرنيْ الوفرة ما يحيل إلى إلهة خصب ونماء، من قبيل تايكي أو ربما العزى، التي أجلَّها الأنباطُ وعربُ الجاهلية أيما إجلال ؟ قد يبدو من الغريب أن تسودَ الطقوسُ ذاتُها والآلهةُ ذاتُها في هيكلين متجاورين، لا تفصل أحدَهما عن الآخر سوى بضعة كيلومترات! والغرابة لا تنتفي إلا إذا افترضنا أن الهيكلين متكاملان، وأنَّ زيارةَ أحدهما كانت تحدث في مواقيت غير المواقيت التي كانت تقع خلالها زيارة الآخر.

والملاحظة الأخيرة قد تؤكدها الوجهة، التي اتخذها كلُّ هيكل على حدة: نحو الغرب لهيكل التنور، وباتجاه الشمال فيما يخص هيكل الذريح. وربما دل ذلك على أن مواسمَ الحج إلى الهيكلين كانت مختلفة، إذ كانت تجري للتنور، على الأرجح، خلال فترتي اعتدال السنة (الاعتدال الربيعي أو الخريفي = equinoxes)، عند غروب الشمس أو شروقها، للذريح، على الأرجح، خلال شهر شباط، عندما كان شروق الشمس أو غروبها يشكل خطا متعامدا مع محور المعبد المتجه (شمال-جنوب) (Al-Muheisen and Villeneuve: In press).

إن ما يمكن قوله، أخيراً، هو أن هيكل خربة الذريح، مثله مثل هيكل خربة التنور، يقدم مجموعة من الشواهد المهمة، التي تلقي الضوءَ على ديانة الأنباط في هذا الجزء من مملكتهم. وعلى الرغم من أنه يصعب إدماج مجمل هذه الشواهد ضمن "الثقافة النبطية"، لأنها شواهد تفتقد إلى التجانس دينياً، وإن تجانست فنياً (جانيف: قيد الطبع)، إلا أن دراستَها بعمق وتأنٍّ ستسهم، دون شك، في فهمنا للثنائيات أو "الأضداد"، التي قد تبدو مميِّزَةً لديانة الأنباط.

أ. د. زيدون المحيسن - معهد الآثار والأنثروبولوجيا - ص. ب. ٥٦٦ جامعة اليرموك، إربد / الأردن.
E-mail: muheisenz@yahoo.fr
د. فرنسوا فيلنوف - مدرسة المعلمين العليا و المركز الوطني للبحث العلمي - وحدة آثار وعلوم العصور القديمة)
(Maison René Ginouvès 21, allée de l'Université F 92023 Nanterre Cedex, France
E-mail: francois.villeneuve@ens.fr
أ. مولاي محمد جانيف - جامعة باريس الأولى. 1, rue Maurice Arnoux C207 - 92120 Montrouge France
E-mail: archaeologia77@yahoo.com

الهوامش

(١) يرد في العديد من كتب التراث العربي ذكر مجموعة من الأماكن الواقعة جنوبي الأردن، مثل الحميمة وجبل الشراة، أي المنطقة التي استوطنها الأنباط قديما، ضمن منطقة البلقاء (انظر على سبيل المثال القضاعي ١٩٨٥: ٢/٣٢٩)، وهو ما يجعلنا نقبل بتحفظ رأيَ جون ستاركي (J. Starcky)، الذي حصر هذه المنطقة في بلاد مؤاب واعتبر أن الحـمَّة المذكورة في ابن الكلبي ربما كانت العينَ الحارَّة المعروفة باسم عين الزارة (Kallirohé) الواقعة جنوبي البحر الميت (Starcky 1966: col. 999).

(٢) ردت كلمة "موتاب" مرتبطةً في نقوش البتراء باسم ذو الشرى كما في نقش التركمانية (د و ش ر ا / إ ل هـ / م ر ن ا / و م و ت ب هـ / ح ر ي ش / ... د و ش ر ا / و م و ت ب هـ)، وهو ما دفع إلى الاعتقاد بأن (ذو الشرى) قد اختص وحده بالـ"موتاب"، انظر في هذا الإطار (Healey 2001: 158-159).

(٣) تطرح الكلمة الواردة في نص إبيفانيوس، كاسم للعذراء أم ذو الشرى، إشكالا على مستوى التفسير. فاللفظة (Xaaμov) تخفي وراءها، لا شك، أصلاً عربياً أو سامياً اختلف الباحثون في تحديد اشتقاقه ومعناه : هل له صلة بالكعبة أم بالمبنى المكعب على وجه الإطلاق؟ وفي هذه الحالة يمكن اعتبار اللفظة دالةً على مبنى ذي شكل مكعب (معبد قصر البنت في البتراء ؟) "جَسَّد" الإلهةَ الأم ودلَّ عليها، أم هي لفظة دالة على معنى البتولة، الذي تؤديه كلمة "كاعب" في العربية، وهي الكلمة التي ربما كانت أصلَ اللفظة الواردة في نص إبيفانيوس ؟ (انظر مناقشة المسألة في (Healey 2001: 104). ونميل إلى ترجيح الرأي الأخير على ما ذهب إليه (Milik 1982: 262) من أن (Xaaμov) المذكورة في هذا النص هي (غ ل م و) ذات الصلة بالكلمة الآرامية (عَلْمَه)، وهي المرأة في مقتبل الشباب. ومع أن اقتراح (Milik) يظل مقبولا على مستوى المعنى، إذ لا يخرج عن دلالات البتولة والشباب، التي تؤديها الكلمة الآرامية (عَلْمَه) ومقابلها في العربية (غُلامة)، إلا أنه يصادف مشاكلَ على المستوى اللفظي أو الصوتي ليس من السهل تجاوزُها، ذلك أن الكلمة المستخدمة من قبل إبيفانيوس لا تحمل أيَّ أثر لحرف اللام، الذي يشكل جزءاً أساسياً من جذر الكلمة (ع ل م / غ ل م)، عدا عن أن إبدالَ الغين كافاً في المقابل اليوناني يبدو ضعيفَ الاحتمال. كل ذلك يدعو إلى ترجيح كون (ك ع ب و / كاعب) أصلا للكلمة (Xaaμov)، إذ يسهل صوتيا قلبُ الباء ميما كما في بكّة / مكّة.

المراجع

أولا: المراجع العربية

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، وحسين بن علي أبو الحسن، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢ م، **العلا ومدائن صالح (حضارة مدينتين). سلسلة قرى ظاهرة على طريق البخور (١)**، دار القوافل، الرياض.

جانيف، مولاي محمد، قيد الطبع، "توفيق، مثاقفة أم مماثلة: أجوبة من خربة الذريح"، **مؤتمر دراسات الأنباط الثاني** (تحرير خيريه عمرو وآخرون)، جامعة الحسين بن طلال / بيت الأنباط.

الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، (المُتوفّى سنة ٢٠٤ هجرية)، ١٩٢٤، **كتاب الأصنام**، تحقيق أحمد زكي باشا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

القضاعي، محمد بن أبي بكر (المتَوفّى سنة ٦٥٨ هجرية)، ١٩٨٥، **كتاب الحلّة السيراء**، القاهرة.

ثانيا: المراجع غير العربية

Dussaud, R. 1955. **La pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam,** Librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris.

Healey, J. 1989. Were the Nabataens Arabs? **Aram** 1: 38-44.

Healey, J. 2001. **The Religion of the Nabataeans. A Conspectus,** Leiden, Brill.

al-Muheisen, Z. and Villeneuve. 1988. Fouilles à Khirbet edh-Dharih (Jordanie), 1984-1987 : un village, son sanctuaire et sa nécropole aux époques nabatéenne et romaine (Ier-IVe siècle apr. J.-C.). **Comptes Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres**: 458-479.

al-Muheisen, Z. and Villeneuve, F. 1994. Nouvelles recherches à Khirbet edh-Dharih (Jordanie), 1991-1994 : Autour du sanctuaire nabatéen et romain. **Comptes Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres:** 735-757.

al-Muheisen, Z. and Villeneuve, F. 1999. Khirbet edh-Dharih, **Dossiers d'Archéologie** 244: 54-59.

Lenoble, P., Al-Muheisen, Z. and Villeneuve, F. (with the collaboration of Ch. Augé, R. Boyer, A. Chambon, A. Desreumaux, F. Le Mort, al-Muheisen-Tarrier, D. and L. Nehmé). 2001. Fouilles de Khirbet edh-Dharih (Jordanie), I: Le cimetière au sud du Wadi Sharheh. **Syria** 78: 89-151.

McKenzie, J. S. 2001. Keys from Egypt and the East: Observations on Nabataean Culture in the Light of Recent Discoveries, **Bulletin of the American Schools of Oriental Research** 324: 97-112.

McKenzie, J. S., Gibson, S. and Reyes, A. T. 2002. Reconstruction of the Nabataean Temple Complex at Khirbet et-Tannur, **Palestine Exploration Quarterly** 134: 44-83.

Milik, J. T. 1982. Origines des Nabatéens. In A. Hadidi (ed.), **Studies in the History and Archaeology of Jordan I**: 261-265.

Ness, L. J. 1990. Astrology and Judaism in Late Antiquity. Unpublished Ph. D. Thesis, Faculty of Miami University.

Ross, S. K. 2001. **Roman Edessa. Politics and Culture on the Eastern Fringes of the Roman Empire, 114-242 CE,** Routledge, London & New York .

Restö, J. 1999. Nabataeans Origins - once again, **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies** 29: 115-118.

Starcky, J. 1966. Pétra et la Nabatène. In: H. Cazelles and A. Feuillet (eds): **Dictionnaire de la Bible. Supplément 7**: cols 886-1017.

Tholbecq, L. 1998. The Nabataeo-Roman Site of Wadi Ramm (Iram): A New Appraisal, **Annual of the Department of Antiquities of Jordan** 42: 241-254.

Villeneuve, F. 2002. Une louve romaine à sabots chez les Nabatéens ? **L'archéologie à l'Ecole normale supérieure. Ouvrage dédié à Christian Peyre**: 93-94.

Villeneuve, F. and al-Muheisen, Z. 2000. Nouvelles recherches à Khirbet edh-Dharih (Jordanie du Sud, 1996-1999), **Comptes Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres:** 1525-1571.

Villeneuve, F. and al-Muheisen, Z. 2000/2001. Rites et mythes des Nabatéens. Le cas de Khirbet edh-Dharih. Cahier des thèmes transversaux, **Archéologies et Sciences de l'Atiquité II**: 279-281.

Villeneuve, F. and al-Muheisen, Z. In Press. Dharih and Tannur, Sanctuaries of Central Nabataea. In G. Markoe (ed.), **Splendors from a Caravan Kingdom. The Nabataeans and the City of Petra**.

Wellhausen, J. 1897. **Reste arabischen Heidentums gesammelt und erlautert.** Berlin, G. Reimer.